تأثيرات الوجود العثماني
في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر

الدكتور سعيود إبراهيم
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

توطئة: بدأ الخطر الأوروبي على المغرب الاسلامي يتزايد منذ سقوط غرناطة أخر معاقل المسلمين في الأندلس في يد الإسبان سنة 1492م، ومنذ ذلك التاريخ ازداد حماس الإسبان وقويت أطماعهم على ملاحقة الأندلسيين الذين فضلوا الهجرة على الردّة.

بدأ الإسبان غاراتهم وتحرّشاتهم على سواحل المغرب الاسلامي في بداية القرن السادس عشر، وأخذ ملك إسبانيا بنصائح الكاردينال "خمينس" فاحتلّ المرسى الكبير سنة 1505م، تلاه احتلال وهران سنة 1509م، ثمّ بجاية وطرابلس بعد ذلك في سنة 1510م، ولم يقف الخطر الاسباني عند هذا الحد، فقد شمل مناطق ساحلية أخرى منها: تنس وشرشال ودلّس ومستغانم، ووصل الإسبان حتى صخرة البينيون الواقعة في مدخل ميناء مدينة الجزائر، مما جعل منطقة المغرب كلّها في خطر، حينئذ كيف تنجو الجزائر؟

تنجو الجزائر بقدوم الإخوة بربروس (عروج وخير الدين)[1] وتصطدم المسيحية بالإسلام من جديد، بعد أن استقر الأخوان سنة 1504م في جزيرة جربة، ومنها انطلقا في الغزو البحري في البحر المتوسط بشنّ حملات على السواحل الإسبانية، ومنذ ذلك الحين ذاع صيتهما.

استنجد أهالي بجاية بالأخوين بربروس، فاستجاب عروج للنداء وحاول تخليص المدينة في سنوات 1512م و1514م و1515م ولكنه لم يفلح، فانسحب إلى جيجل التي اتخذها هو وأخوه خير الدين قاعدة بعد أن طردا منها الحامية الجنوية ولمّا أصبحت مدينة الجزائر مهددة بالاحتلال الإسباني استجاب الأخوان لطلب أهالي مدينة الجزائر واتجها إلى الجزائر سنة 1516م، وهي السنة التي نصّب فيها عروج نفسه حاكما على مدينة الجزائر[2].

ارتبطت الجزائر بعاصمة الخلافة العثمانية رسميا سنة 1519م، أضحى تعيين الولاة من صلاحيات السلاطين العثمانيين وحدهم وكان خير الدين بربروس أول حاكم أقرّ السلطان سليم الأول تعيينه، وليدعم مركزه وسلطته بالجزائر أرسل السلطان العثماني للوالي الجديد في الجزائر ألفين من الجند الانكشاري، كما سمح للمتطوعين بالالتحاق هناك وبذلك تشكلت النواة الأولى للجيش الانكشاري بالجزائر[3].

ومنذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية، شكل الرصيد الثقافي لهذه الأمّة، الجسر الذي ربط قيّم الماضي بمعطيات الحاضر، فكان بمثابة السياج الذي أكسبها المناعة ومكّنها من التطور بل وحفّزها على الاسهام الحضاري، الذي جمع بين عمق الأصالة وجديد الحداثة.

وما يلاحظ أن العلاقات الثقافية بين العاصمتين (الجزائر واسطانبول) في الفترة العثمانية لم تكن معدومة. فمنذ نهاية القرن السادس عشر أصبح بعض الكتاب يتحدثون عن الجزائر باعتبارها (اسطانبول الصغرى) لما توفر فيها من البضائع والحرف والمؤسسات الدينية والعلمية وكذلك للمكانة المرموقة التي أصبحت عليها في البحر الأبيض[4].

نتج عن استقرار الأتراك العثمانيين في الجزائر رصيدا ثقافيا، والسبب في اعتقادنا يعود إلى التركيبة السكانية، وفي مقدمتها تركيبة العنصر التركي[5]، إذ لابد من الإشارة إلى أهميته من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية. ومن هنا يجدر بنا الحديث عن اللسان اللغوي العثماني وأثره في التواصل في الجزائر.

اللسان اللغوي العثماني وأثره في التواصل في الجزائر:

للكلمات والمفردات أصول وجذور، لكن لها -كالكائنات الحية- تطور يشمل معانيها ودلالاتها وإيحاءاتها، ويؤدي بها عبر مسارات وانعطافات إلى استخدامات تجعل منها مصطلحا يغطي بدلالاته قطاعا أو حقلا معينا من المعرفة الإنسانية[6].

وأشار الشيخ "محمّد بن أبي شنب"[7] في دراسته حول الكلمات التركية، والفارسية الباقية في العامية الجزائرية عدد ما يقارب 634 كلمة من رتب عسكرية، ووظائف ادارية، وحرف وأسماء تخص الأكل، واللباس، بالإضافة إلى متنوعات أخرى. ونشير هنا إلى ضرورة زيادة الأمثال التركية التي استعملت في الجزائر[8].

ولمعرفة الكلمات التي كانت تستعمل من طرف عامة الناس أو المقربين من الأتراك العثمانيين بحكم وظائفهم أو مركزهم الاجتماعي، أو بفضل علاقات الطرفين مع بعضهما البعض، وذلك من أجل الوقوف على مدى تأثر الجزائريين بهذه اللغة، عدنا إلى بعض المصادر والوثائق نذكر منها كتاب المرآة لـ"حمدان خوجة"، ورحلة "ابن حمدوش"، ومذكرات "الحاج أحمد الشريف الزهار" هذا الأخير تولى منصب نقابة الأشراف ويمثل هذا المنصب نقطة احتكاك كبيرة بينه وبين الحكام، وتضمن كتابه مذكرات الكثير من الكلمات التي جاءت في صياغتها توحي بأنها جزء من رصيده اللغوي.

مجالات التأثير العثمانية:

جلبت مدينة الجزائر، باعتبارها القطب الغربي للدولة العثمانية بعد اسطنبول، أنظار الراغبين في الجاه والمال والوظائف. وهكذا توافد عليها الفقهاء والعلماء والدراويش كما أمّها المغامرون من كل صنف[9].

صاحب الوجود العثماني في الجزائر من الناحية السياسية، تقسيمات إدارية، نتج عنها ادخال ألقاب، ورتب عسكرية وأسماء لوظائف تخص السلطة الحاكمة، وحتى أسماء للحرف والحرفيين[10].

- المجال الاداري:

امتاز النظام الإداري للجزائر العثمانية باحترامه للتسلسل التدريجي للمناصب الإدارية، الذي تؤخذ فيه بعين الاعتبار صلاحيات الموظفين ونوعية المهام الإدارية المنوطة بهم، وبالتالي أصبح من النادر أن نجد موظفا يماثل عمله الإداري عمل موظف آخر أو يتعارض معه، ومما يلاحظ على هذا التوزيع المحكم للمهام الإدارية أن أصبح الجهاز الإداري للجزائر العثمانية ذا تركيب هرمي يتبوّء قمته الداي (الحاكم الأعلى) ويحتل أعلى المراتب الإدارية به الموظفون السامون ويشكل الكتّاب الرسميون للدولة "الخوجاباشي" والقادة العسكريون "الأغوات" وحكام الأقاليم "البايات" بنيته الأساسية، بينما يؤلف قاعدته جماعة الشواش وصغار الموظفين "الخوجات"[11].

ومن المصطلحات العثمانية المتداولة في الجزائر إداريا، والتي تقوم عليها العلاقة بين السلطة و عامة الشعب نذكر:

الإيالة: وتعني ولاية، أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى إيالات، وكان يشرف على الإيالة أمير الأمراء[12]، وعرف عندنا في الجزائر بيلرباي أي باي البايات أو أمير الأمراء[13] والجزائر من الولايات العثمانية التي لقّب بعض ولاتها بهذا اللقب، وسمّيت أيضا أوجاق جزائر غرب أو دار الجهاد.

وسمّي عهد الولاة الأوائل بعهد "البايلربايات" وامتد من سنة 1519م إلى سنة 1587م، ومن هؤلاء نذكر خير الدين، وحسن باشا، وصالح رايس[14] وعلج علي[15] وطيلة فترة البايلربايات، عمل الولاة على إرساء دعائم الحكم العثماني في الجزائر، وتشكيل أسطول بحري[16] وتعزيزه لمواجهة الأخطار الخارجية ولا سيما الخطر الإسباني الذي مافتئ يهدد السواحل الجزائرية[17].

البايليك: أي المقاطعة أو الناحية التي يترأسها الباي. وهذه الكلمة لا تزال مستعملة حتى يومنا هذا ، كأن نقول مثلا رزق البايلك من أرض أو عقار تابعة لسلطة الدولة أو طريق البايلك وهو الطريق العام.

وقد قسمت الجزائر من الناحية الإدارية في العهد العثماني ابتداء من 1565م إلى أربعة بيالك أو أقاليم وهي:

- دار السلطان: وتضم الجزائر العاصمة وضواحيها، وهي خاضعة مباشرة لسلطة الحاكم.
- بايلك التيطري: عاصمته المدية.
- بايلك الشرق: عاصمته قسنطينة.
- بايلك الغرب: عاصمته مازونة ثم معسكر وانتقلت إلى وهران بعد تحريرها من الإسبان سنة 1792م

وكان الحاكم يعين على رأس كل بايلك "بايا" وتتمثل مهام البايات في تسيير شؤون أقاليمهم والاشراف على القوات العسكرية النظامية وغير النظامية، وجمع الضرائب، كما كانوا مطالبين بالتوجه إلى الجزائر مرّة كل ثلاث سنوات ليسلّموا عائدات بيالكهم إلى الخزينة، ويقدمون تقاريرهم عن الأوضاع العامة في المناطق الخاضعة لهم. وكان يتمّ في نفس الوقت تعيينهم أو عزلهم، وذلك وفقا لما يقدمونه من العائدات والهدايا للداي وأعوانه[18].

الوجاق: أصلها أوتشاك أي الموقد وتطلق على الولايات أيضا، وقد وردت في مذكرات الزهار: "...ومما أنعم به على الوجاق..."[19].

سنجق: معناه اللغوي العلم أو اللواء الخاص بالدولة، وسنجقدار نعني به حامل اللواء[20].

القفطان: الخلعة ويصنع بإسطنبول، يرسله السلطان العثماني لكبار الحكام بالجزائر كشعار لتسلم الحكم، وهو نوع من الملابس الخارجية أو ما يسمى بالبشت أو العباءة أو الرداء الذي كان السلطان يكسيه لموظفيه أو ولاّته في الإيالات أو وزرائه معربا عن رضائه عنهم، ولهذه الخلعة درجات، ويسمى الذي يكلف بإلباس الخلعة "قفطان اغاسي"[21].

تشريفاتي: وظيفة استحدثت في عهد سليمان القانوني، ويطلق على القائم بهذه الوظيفة المسمى تشريفاتي أفندي ويقوم بمتابعة تنفيذ المراسيم الحكومية، وهذه المراسيم يطلق عليها الفرمان وهو الأمر السلطاني المكتوب ويخص قضية من القضايا[22].

البشكاش: الهدية التقليدية للسلطان العثماني المقدمة من طرف الداي الجزائري، يقول الزهار في هذا الشأن "...وفي هذه السنة 1819م بعث البشكاش إلى الدولة العلية"[23].

وورد في إحدى الرسائل التي وجهها حسن، باي وهران إلى الداي حسين في عام 1242هـ/ 1827م، جاء فيها: "أننا قد وجهنا لحضرة سيدنا العالية بشكاش عاشوراء مثل العادة. كما وجهنا لكم البشكاش المعلوم لكم، ولداركم السعيدة، ولأولادكم مثلما جرت به العادة القدية... أدامها الله عادة مستمرة الدوام على مر الليالي والأيام"[24].

ومعروف أن السلطان العثماني كان يتمتع بسلطة منح كل ألوان التكريم والقيادة و المناصب الرفيعة وينزعها حين يشاء. ومن هذه الألقاب نذكر ألقاب الولاة، وألقاب كبار رجال الدولة، والألقاب العسكرية، والدينية.

الباشا: استخدمت كلقب لحكام بعض الولايات العثمانية ومنها الجزائر[25]، حيث عمدت الدولة العثمانية إلى نظام الباشوات المعينين لمدة ثلاث سنوات[26]، وهو نظام طبقته ايضا في آسيا الصغرى وفي بعض المناطق الأوروبية. واستند حكم الباشوات على قوتين، الأولى المؤسسة العسكرية البرية أي الجيش الانكشاري،

وهو ما اصطلح على تسميته بالأوجاق[27] والثانية المؤسسة العسكرية البحرية أي طائفة رياس البحر.

لمّا تولى الباشا خضر الحكم في الجزائر (1592-1589م) فكّر في التحالف مع "طائفة الرياس" ومع "جماعة الكراغلة"[28] وعزم على تحقيق مشروعه لكن الجند عارضوه معارضة شديدة.

الداي: تعني الخال، وتعني السيد، وكان هذا اللقب يمثل قمة هرم السلطة في الجزائر، و تعدّ مرحلة حكم الديات في الجزائر من أطول مراحل الحكم العثماني في الجزائر ، وامتدت من 1671م إلى 1830م.

أصبح الداي المسؤول عن جهاز الحكم بالإيالة الجزائرية والممثل الشرعي للسلطان العثماني بالجزائر فهو حسب تعبير بعض المصادر: "الحاكم المستبد والسيد المطلق الصلاحية بإيالته" يرد اسمه في الوثائق الإدارية مرادفا لكلمة سيدنا أو أفندينا، كما أن وثائق المحاكم الشرعية تورده بهذه العبارة "الأمين الهمام فخر الملوك العظام مولانا الدالاتلي السيد..."[29].

ولعل هذه الألقاب التي اكتسبها داي الجزائر تعود إلى المكانة التي أصبح يحتلها بعد أن جمع منصب الباشا الشرفي وظيف الداي العملي، وكان قبل ذلك يكتفي بلقب الداي، بينما لقب الباشا كان من اختصاص مبعوث السلطان العثماني إلى الجزائر. الذي له أحقية تمثيل الباب العالي لدى ديوان الجزائر[30].

تمتّع الدايات بالألقاب الشرفية مثل لقب مير ميران[31] وهو أعلى منصب في الدولة العثمانية الذي يخول لصاحبه الحصول على نيشان ذو الطفرين ونزول منزلة بايلار باي الروميلي وهو أعلى منصب في الدولة العثمانية آنذاك، وهذا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن الدايات كانوا يجمعون ألقاب السلطة كلها رغم بقائهم ضمن النفوذ والهيمنة العثمانية[32] ومن الموظفين نذكر:

الخزناجي: المختص بالإشراف على الخزينة فقد أوكل إليه أمر حراستها وإيداع مصادر دخل الدولة بها في شكل نقود ومقتنيات ثمينة مع الاشراف على وجوه الانفاق المختلفة كدفع أجور الوجاق (فرق الجند) وهذ ما أصبغ عليه لقب صاحب الخزينة وجعله يتميز عن الكاتب البسيط المكلف بمالية البايليك من نفقات ومصاريف والمدعو هو الأخر بالخزناجي أو الباش خزناجي المقيم بإحدى مراكز البايليك الثلاث (قسنطينة والمدية ووهران)[33].

بيت المالجي: وهو الموظف المشرف على مصلحة الأملاك والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استعبادهم أو فقدانهم، فيما إذا انعدم ورثة شرعيون لهم من إخوة أو أبناء أو أقارب، ولهذا ينحصر العمل الأساسي لبيت المالجي في تصفية الأملاك التي ليس لها ورثة، مع الاشراف على مراسيم الدفن وأمور المقابر، وبيع التركات والأملاك التي ليس لها ورثة أو المصادرة من طرف السلطة الحاكمة.

وكيل الحرج: وهو موظف سام يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية حيث تصنع السفن، وكذلك الاشراف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر، وتتوسع صلاحياته في بعض الأحيان إلى الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية.

خوجة: كاتب أو رئيس الكتاب والدواوين، وتعني المعلم، وأصل هذه الكلمة فارسي تعني: السيد، أو رب البيت، ونجد هذه الكلمة في الجزائر تستعمل في مقدمة الكلمات الخاصة ببعض الوظائف مثل:

خوجة الخيل: المعروف باللغة التركية آت خوجاسي وهو موظف سام يدير أملاك البايليك ويشرف على مواشي الدولة التي يتكفل الأهالي بتقديمها في شكل ضرائب عينية[34]. وكذلك خوجة القصر ويدعى في بعض الأحيان "خوجة الباب" وهو المكلّف بفتح أبواب القصر وغلقها عند استقبال ضيوف القصر أو الوافدين على الحاكم، وخوجة الرحبة[35]، وخوجة الزرع، وخوجة العيون، وخوجة الجمارك[36]، وخوجة الملح، وخوجة الجلد، وخوجة الفحم، وخوجة الوزن[37] ولقّب أيضا صاحب كتاب "المرآة" حمدان بن عثمان أيضا باسم خوجة[38]. ورد ذكر خوجة عند الزهار في قوله: "وعندما كملت أيام الضيافة كما هي العادة، وودع الأمير، ألبسه الأمير عمامة مبرجة مثل الخوجة"[39].

- المجال العسكري:

امتاز النظام الإداري للجزائر في العهد العثماني، بطابعه العسكري، فالعمل العسكري كان أفضل وسيلة وأقصر طريق لنيل أعلى المناصب وأرقى المهام في السلك الاداري، وهذا ما جعل صلاحيات الموظفين تكتسي صبغة عسكرية واضحة، مما قلل من الطابع المدني لإجراءات الإدارة الجزائرية آنذاك. ولعلّ هذا

ناتج عن طبيعة العنصر التركي الذي كان يميل إلى الحياة العسكرية ويفضل اسلوبها في معالجة الأمور[40].

وقد ترتب عن هذا النظام، وجود ألقاب وأسماء ظلت متداولة على ألسنة الجزائريين منها:

الآغا: أصل الكلمة فارسي وتعني السيد، وقد استعملها الأتراك لدلالات عديدة وخاصة في المجال العسكري[41] منها: كانت تطلق على الضباط الأمنيين مثل الانكشارية، استعمل هذا اللقب في الجزائر للدلالة على القائد لدى بعض القبائل ويسمى آغا العرب، وآغا العرب هذا وهو قائد فرسان من القبائل الموالية للسلطة العثمانية والتي تشارك في المحلات، وإرضاخ القبائل المتمردة[42].

الدونانمة: لفظ تركي تعني الاسطول الحربي، وردت هذه التسمية عند الزهار في قوله: سفر الدونانمة وكذلك الدونانمة الثالثة وأعمالها "...توفي السلطان مصطفى، وتولى بعده أخوه السلطان عبد الحميد سنة 1187 فأرسل الباشا الدونانمة الثالثة..."[43].

المحلة: جمعها المحال، وهي الفرقة العسكرية التي تخرج لجمع الضرائب على مستوى البايليك، وتدوم المحلة ثلاثة أشهر أو أكثر. وتأخذ في بعض الأحيان شكل الحملة التأديبية، ولعلّ من أبرز الحملات التأديبية، تلك التي اعتاد حكام الجزائر العثمانية تجريدها على منطقة ورقلة على فترات متوالية، إثر ضم حسن آغا (1541م) مناطق الحضنة والزاب وإبقاء حامية تركية (نوبة) بمدينة بسكرة[44].

النوبانجية: مفردها نوبانجي، وتعني رجال الحرس الذين يتناوبون على الحراسة، "وقعد عند باب دار الملك في مكان كبير النوبانجية"، ونجد كلمة قشلة: التكنة، وكلمة المتارز: الأماكن المحصنة، إذ يقول "الزهار"في مذكراته: "...وأخرجوا الشنضاض (الجنود المسلمون) من المتارز...".

البينباشي: وهو القائد العسكري الذي يقود تحت إمرته نحو ألف من العساكر، ويسمى أيضا رأس الألف[45].

بعض الاستنتاجات حول التفاعل اللغوي:

إذا كان لكل بحث تاريخي استنتاجاته، فخلاصة بحثي هذا عن موضوع أثر اللغة العثمانية في اللسان الجزائري منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية وإلى اليوم لا يمكن توضيحه مختزلا في جدول حسابي لعدد من الكلمات والعبارات في سياق

مدلولات موحدة ومتطابقة ومتداولة، لا بل أن هذه الأبحاث يجب أن تِؤدي إلى تطابق في واقع العلاقات العلمية وخاصة في شقّها المتعلق بالتاريخ بين المؤسسات العلمية ومراكز ومخابر البحث في كل من الجزائر وتركيا.

أن هذا التفاعل اللغوي سيؤدي حتما إلى إزالة العوائق والموانع التي تحول دون إقامة علاقات علمية ثقافية، يتمّ بموجبها التنقيب عن الوثائق بغية الوصول إلى نتائج علمية، للانتقال من الاحتمالات النظرية إلى التحقق العملي المتطابق مع الوقائع التاريخية في كلا البلدين، عندها ستدعم الآراء بحقائق وشواهد للعبور من المقدمات إلى النتائج.

إن ما يعتري أبحاثنا في العلاقات الجزائرية العثمانية بصفة عامة، هو ضيق إحاطتها بدائرة من الآراء، بل ومن المواقف في المواضيع المختلفة ومنها موضوع التفاعل اللغوي وأثره على الاتجاهات الفكرية في الجزائر وتركيا.

الهوامش:

1 ورد في كتاب غزوات عرّوج وخير الدين، أنهما بحارين من جزيرة مدلي اليونانية التابعة للدولة العثمانية. ينظر:

- مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين . مطبعة الثعالبية، الجزائر 1934، ص7.

- ينظر أيضا أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

- وأيضا المقال الوارد في المجلة الإفريقية لأرنست وتبلاد.

- Watbled (Ernest), « Etablissement de la domination Turque en Algérie. » in. R.A, n°17, 1873, pp 297-298.

2 شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. دار الكتاب العربي، الجزائر 2011، ص10-11.

3 حول مسألة التحاق الجزائر بالدولة العثمانية ينظر:

- عبد الجليل التميمي: " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول " المجلة التاريخية المغربية، تونس1976، ص ص 116-120.

- Henri de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1518-1830), présentation de Lemnouar Merouche, éds Bouchène, Paris 2002.

4 أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، دار الرائد، عالم المعرفة الجزائر2009، ص195.

5 إن السواد الأعظم في "المؤسسة العسكرية" كان تركيا، لكن الأصول لم تكن تركية بل أصبحوا أتراكا أو "تعثمنوا". وفي العهد الأول كانت بلاد الأناضول أهم منطقة يتوافد منها "الأتراك" ولا سيما من أزمير وبورصة، ودنيزلي، وديار بكر، وقازداغ. أما "الأتراك" غير الأناضوليين فكانت أصولهم من ألبانيا، ومن البوسنة، وأدرنة، واسطنبول، ومن بحر إيجة، ومدلي وكريت وقبرص ورودس. ينظر: غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية - اقتصادية. منشورات ANEP الجزائر2007.

6 وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ، اتجاهات - مدارس - مناهج. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ط1، بيروت 2012 ص27.

7 أديب وباحث في مجال الدراسات اللغوية و الأدبية، اهتم بالترجمة وتحقيق المخطوطات النفيسة، ولد سنة 1869م بنواحي المدية ثم انتقل إلى دار المعلمين بالجزائر، وتخرج منها سنة 1888م، مارس مهنة التعليم، ثم تابع دراسته الجامعية. انتخب عضواً سنة 1920 بمجمع اللغة العربية في دمشق، وحصل على دكتوراه دولة سنة 1922، التحق بجامعة الجزائر سنة 1924م إلى أن توفي سنة 1929م. من مؤلفاته: **ألكلمات التركية والفارسية الباقية في العامية الجزائرية**". ينظر: معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر 1995م، ص.307

8- Mohamed Ben Cheneb : Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien, préface Hédi Bencheneb, Flites Edition, 2009, p13.

9 من العلماء أمثلة عديدة على ورود هذا النوع من المثقفين الذينى كانت مهمتهم بالدرجة الأولى التدريس ونشر العلم، ومن هؤلاء محمد بن علي الخروبي المعروف بالطرابلسي والذي قدم من السلطنة العثمانية إلى الجزائر ثم قام منها بمهمّات دبلوماسية في المغرب الأقصى قبل أن يستقرّ به المقام بالجزائر وقد ساعد أيضا على نشر الطريقة الزروقية بين طلبة الجزائر. ومنهم الشيخ فتح الله الذي استقر به المقام في قسنطينة بعد أن انتقل بين سورية واسطنبول ومدينة الجزائر، وقد أصبح في قسنطينة شيخ العلم والتصوف وعدّة معارف أخرى، ووصل به الأمر أن أصبح خطيبا ومفتيا، وهناك أخرون غير هؤلاء فقد ذكر عبد الكريم بن الفكون شخصية المولى علي القادم من اسطنبول ووصفه بأوصاف العلم والتجلة، وقال عنه أنه نزل عنده بقسنطينة وكانت معه مكتبة عظيمة، وبعد ذلك توجه إلى مدينة الجزائر فعظمه قادتها واستقبلوه استقبالا فخما، ثم دارت عليه الدوائر في ظروف غامضة، لم يذكرها ابن الفكون، حتى خرج إلى تونس ناجيا بنفسه. ينظر: سعد الله، المرجع السابق. ص 196-197.

10 حول الحرف والحرفيين ينظر: غطاس عائشة: المرجع السابق.

11 سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 2000.. ص252.

12 سهيل صبان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000،ص45.

13 لقب وظيفي. عرف هذا اللقب منذ العصر العباسي وكان أول من تلقب به الأمير يونس المظفر قائد حرس الخليفة العباسي المقتدر وكان اللقب آنذاك لقبا فخريا تحول إلى لقب وظيفي حين ولي الخليفة الراضي في 324ه/ 904م محمد بن واثق في وظيفة أمير الأمراء والتي صارت

منذ ذلك الوقت أعلى وظائف الدولة وتلاشت في ظلها الوزارة إذ لم يعد للوزير من الوزارة سوى اسمها بل وفقدت الخلافة أهميتها السياسية لحساب أمير الأمراء الذي كان يذكر اسمه إلى جانب اسم الخليفة في الخطبة. غير أن اللقب لم يلبث أن فقد أهميته كاسم وظيفة وصار مجرد لقب فخري منذ سنة 412ه/ 992م، والمرادف الفارسي لهذا اللقب لقب "ميرميران" والمرادف التركي بكلربكي والكاف تنطق ياء أي بيلر باي. وفي العصر العثماني استعملت الألقاب الثلاث أمير الأمراء-ميرميران-بيلرباي كمترادفات. وأهم اختصاصات صاحب هذا اللقب كما حددها قانون نامه الذي أصدره السلطان سليمان القانوني أن يسعى لحفظ المملكة وحراستها وتأمين الرعايا ورعايتهم ويتجنب إهمال أحوالهم أو إهمال الأحوال السلطانية. ينظر: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية. دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات) 1517- 1924م. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة 2000. ص65-66.

14 حول هذه الشخصية راجع الدراسة المستفيضة التي نشرها الدكتور ناصر الدين سعيدوني والموسومة: رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس. وقد نشرها في كتابه: ورقات ...مرجع سابق. ص ص101-121.

15 حول هذه الشخصية ينظر: محمد سي يوسف: علج علي باشا بايلرباي الجزائر، أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1988.

16 حول البحرية الجزائرية وتطورها، وكذلك الأسطول الجزائري ورجالاته. ينظر:

- Moulay BELHAMISSI, Marine et Marins d'Alger 1518 – 1830. 3T, B.N.A, Alger 1996.

17 حول الصراع الجزائري الإسباني ينظر: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792. دار البصائر،ط3، الجزائر 2009.

ينظر أيضا فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/ 1505-1792م) دار هومة، الجزائر2012.

- Fernand BRAUDEL, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II,

2vols .Paris, Armand Colin, 2^{e}édition, 1966,3^{e} éd, A. Colin, Paris1976.

18 شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. دار الكتاب العربي،ط1، الجزائر 2011. ص15.

19 الزهار أحمد الشريف: مذكرات نقيب أشراف الجزائر. تحقيق ونشر أحمد توفيق المدني. ط2 . ش.و.ن. ت، الجزائر. 1980.

20 السنجق أو الصنجق من التركية سنجاق وهو العلم، كما سمي به أيضا القسم من ولاية كبيرة، إذ أن بعض الولايات العثمانية العربية في الشرق العربي والتي كان يحكمها أمير الأمراء كانت تقسم إلى أقسام إدارية أصغر تعرف بالسنجق يلقب حاكمها أمير اللواء. ينظر:

الصفصافي أحمد مرسي: " الدولة العثمانية والولايات العربية " مجلة الدارة، الرياض.ع4، السنة الثامنة، أفريل 1983. ص 80.

21 سهل صبان: مرجع سابق، ص104.

22 محفوظات المكتبة الوطنية الجزائر: المجموعة 3190، ورقة 20.

23 الزهار: مصدر سابق.

24 أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/ 1519-1830م. ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009. ص220.

25 سمي هذا العهد بعهد الباشوات وامتد من 1587 إلى غاية 1659، كما كان يعرف بعهد الباشوات الثلاثين « Pachas triennaux » استهلّ عهد الباشوات بالباشا دالي أحمد 1587-1589 الذي شجّع الغزو البحري، وفي عهده عرف الغزو البحري ازدهارا مميزا حيث كثّف الأسطول الجزائري هجوماته على السواحل الإيطالية والاسبانية. ينظر:

- Henri DE GRAMMONT, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) présentation de Lemnaouar Merouche, éd, Bouchène Paris 2002, p1296130.

26 Pierre BOYER, « Introduction à une histoire intérieure de la régence d'Alger. » in, Revue Historique, 1966, p301.

27 الأوجاق كلمة تركية وتعني الموقد، وكان الجيش الانكشاري في الجزائر مقسما إلى وحدات صغيرة تدعى الأوجاق، ثم أطلقت التسمية على مؤسسة الجيش الانكشاري بصفة عامة. ينظر:

- Pierre BOYER, ibid.

- Jean DENY, « Les registres de soldes des Janissaires conservés à la bibliothèque d'Alger » in, Revue Africaine, 1920, p37.

28 لفظ تركي - عثماني "كول أغلو" بمعنى ابن العبد، وأطلقت هذه التسمية على أبناء الجيش الانكشاري من أمهات جزائريات وتعود أول إشارة إلى الكراغلة كجماعة مستقلّة ومتميزة إلى سنة 1596. ينظر:

- Pierre BOYER, « Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger. » Revue de l'Occident musulman et de la méditerranée, 1970, p80.

29 سعيدوني ناصر الدين: ورقات ... مرجع سابق. ص216.

30 يعود تاريخ إلغاء منصب الباشا الذي له صلاحيات محددة ولا مهام معينة إلى سنة 1711، عندما منع الداي علي شاوش نزول الباشا إبراهيم مبعوث السلطان بمرسى الجزائر بحجة تسببه في إثارة الفتن وإحداث القلاقل، وهذا ما سمح للداي شعبان وخلفائه من بعده أن يحصلوا على لقب الباشا من السلطان مقابل تقديم الهدايا وإعلان فروض الطاعة والاحترام، وبذلك أقر الباب العالي الأمر الواقع ولم يحاول فرض مبعوثه الخاص إبراهيم باشا على حاكم الجزائر، مما سمح للداي عبدي ومن سيأتي بعده أن يجمع لقب الباشا ومنصب الداي، وبذلك لم يعد دايات الجزائر ملزمين إزاء الدولة العثمانية إلا بالخطبة وضرب السكة باسم السلطان. ينظر: سعيدوني، وقات...ص216-217.

31 لقب مير ميران فارسي، والمرادف التركي "بكلر بكي" والكاف الأولى تنطق ياء، ويعني أمير الأمراء، وفي العصر العثماني استخدمت الألقاب الثلاث: أمير الأمراء – مير ميران – بكلر بكي كمترادفات. ينظر: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية... مرجع سابق، ص65.

32 سعيدوني: ناصر الدين: ورقات ... مرجع سابق ، ص217.

33 نفسه. ص219.

34 سعيدوني، المرجع السابق، ص226.

35 يعرف أيضا بالمكّاس ويتسلّم الرسوم على الحبوب المعروضة في الأسواق. ينظر: سعيدوني، المرجع السابق ص233

36 حول الأسعار والرسوم الجمركية وقانون السوق والمكس وبعض الرسوم المستخلصة. ينظر: جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ط2، دار هومة الجزائر 2007. ص ص 97-104.

37 سعيدوني، نفس المرجع ص233-234.

38 وهو الكتاب الذي قام بتقديمه وتعريبه وتحقيقه الأستاذ محمد العربي الزبيري، أعتقد أن أول ترجمة لهذا الكتاب نشرت سنة 1975، أما النسخة الموجودة بحوزتي فصادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1982.

حول بعض هذه الأسماء والألقاب ينظر أيضا:

- Thomas SHAW, Voyage dans la Régence d'Alger au XIII^{e} siècle, traduit de l'Anglais par J.Mac Carthy, ed, Bouslama, Tunis 1980.

- Venture DE PARADIS, Tunis et Alger au XVIII^{e} siècle. Mémoires et Observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, ed, Sindbad, Paris 1983.

39 ورد هذا عند الزهار في حديثه عن قضية صالح باي قسنطينة لما قدم إلى مدينة الجزائر في الزيارة المقررة كل ثلاث سنوات والتي يقوم بها البايات كما جرت العادة. حول الموضوع ينظر: الزهار ، مصدر سابق ص 64.

40 سعيدوني ناصر الدين: ورقات ... مرجع سابق. ص254.

41 محمود عامر: "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية" مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، كانون الثاني – حزيران، دمشق 2012. ص361. ولقب آغا ذكر فيما يلي:

- آغا الحرم: ويطلق على المخصيين ممن يعمل في قسم الحرملك (قسم النساء).

- آغا السراي: شيخ الحرم في المدينة المنورة الذي تعينه الدولة مدى الحياة.

- آغا باشا: يطلق على من كان من كبار ضباط الانكشارية سابقاً.

- آغا بلوكي: مصطلح يطلق على من يسند إليه رئاسة المكتب في استانبول، وهو لقب متميز في الفرق الانكشارية.

- آغا حقي: الضريبة التي تؤخذ من أصحاب الأراضي الموزعة بموجب نظام إقطاع الأراضي. ينظر، محمود عامر: نفس المرجع ص361.

42 ورد ذكر آغا العرب عند الزهار، في دنوش باي الغرب محمد باي عند خروجه من إمارته في معسكر وقدومه لدار السلطان مقر الداي لتقديم الهدايا وواجب الطاعة والولاء. ينظر الزهار ص 37-38.

43 الزهار، ص29.

44 سعيدوني ناصر الدين: ورقات ... مرجع سابق. ص526. ذكر من هذه الحملات التأديبية.

- حملة صالح رايس باي لار باي الجزائر على ورقلة في شهر أكتوبر من سنة 1552..

- الحملة الثانية على مدينتي ورقلة وتوغرت التي قام بها يوسف باشا عام 1649 .
- الحملة الثالثة التي قام بها صالح باي ضد توغرت في وقت كانت نواحي الأغواط وعين ماضي تتعرض هي الأخرى لحملة انتقامية على يد محمد الكبير باي الغرب عام 1785.
- الحملة الرابعة اكتفت بمدينة توقرت، وحدثت في وقت كان فيه الباي حسن آخر بايات وهران يقوم بحملة تأديبية بنواحي عين ماضي والأغواط انتقاما من نشاط الطريقة التيجانية المعادي لسلطة البايليك. ينظر: سعيدوني، نفس المرجع، ص ص 326-328.

45 سهيل صبان، المرجع السابق، ص 66.